تفريغ شرح القواعد الأربعة

للشّيخ محمّد بن عبد الوهاب –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

ضمن دروس سلسلة التأصيل العلمي

لفضيلة الشيخ

حـامد بن خميس بن ربيع الجنيـبي

(تفريغ الدرس الأول)

(تنبيه: هذا التفريغ لم تتم مراجعته واعتماده من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم انفعنا بما علمتنا وزدنا علما، اللهم علِّمنا ما ينفعُنا، اللهم يا ذا الجلال والإكرام يا من لا إله إلا أنت، اللهم اجعل ما نقوله حجةً لنا ولا تجعله حجةً علينا يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

أما بعد،

فَبَعْدَ أن طال التوقف عن ما كنا شرعنا فيه من الدروس العلمية، والتي كنا قد أطلقنا عليها اسم سلسلة التأصيل العلمي، وشرعنا بفضل الله –سبحانه وتعالى– في المتن الأول من هذه المتون، وقد يَسَّرَ ربُّنا –سبحانه وتعالى– أنّنا بفضل الله قد انتهينا من المتن الأول، متن ثلاثة الأصول، وبحول الله –عزّ وجلّ– نبدأ اليوم في متن القواعد الأربع، وهذا المتن هو متن عظيم، على قلة عباراته وقلة ما جاء فيه من الكلمات، ولكنه متنٌ يحتاجه كلّ طالبِ علمٍ، فضلا عن العلماء، بل الحقُّ أن يقال يحتاجه حتى عامةُ الناس، فإنّ من أخذ بلِجام هذه القواعدِ الأربع، وأحْكَمَ هذه القواعدَ الأربع، وتفهّمها، وتفقّهها، وأحسن فهمها، فإنها تُحكِم لهُ مَداخلَ لأهل البدع في باب التوحيد، وتأخذ بلِجَامِ الفهم في تفاصيلها، وهي من الأهمية بمكان، بحيث أن العامة كما قلت وأسلفت يحتاجون إلى فهمها، وهي إن شاء الله تُذهب كثيرا من الشُّبه التي قد تنطلي على بعض من استطلبَ العلم، (..) العامة؛ ولذلك كان بعضُ مشايخنا –حفِظ الله أحياءهم ورحِم من مات منهم– أقول: كان بعضُ مشايخنا، إذا أراد أن يشرحَ كتاب كشف الشبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، كان يمرّ قبل بداية الدرس ولو قراءة، يطلب من أحد الطلاب أن يقرأ قبل بداية الدرس متن القواعد الأربع؛ لأنها تُذكِّرُ، قبل الخوض في تلك الشبهات، تُذكر طالبَ العلم بتلك القواعد الأربع التي تُحكمُ له مداخلَ أهل الضلال والبدع في هذا الباب. وهي في الحقيقة بمثابة المدخل إلى الكتب الموسعة في باب التوحيد، فلابد لطالب العلم أن يَفْهمَ هذه القواعدَ الأربع فهما جيدا؛ لكي يَحْصُلَ له بإذن الله

-عزّ وجلّ- التوسّعُ في مدارك الفهم في باب التوحيد، فيُتْقِنَ الفهم فيه، ويَرُدّ بحول الله -عزّ وجلّ- على من أغواه الشيطان في هذا الباب، فكان لِزاما على طُلاّب العلم أن يتفقهوا في هذه القواعدِ الأربع، وأن يتعلموها، ويفهموها فهما جيدا. ونحن بحول الله - عزّ وجلّ -، فيما ييسره ربُّنا -عزّ وجلّ- من الوقت، نحاول قدر الاستطاعة أن نُعَلِّقَ على النَّحْوِ الذي كنا قد أخذنا على أنفسنا أن نجريَ فيه، لا اختصار ولا إسهاب ولا إطناب، ولكن يكون على نحوٍ من التوسط بإذن الله -عزّ وجلّ-، وكما قلت سابقا، إنّ التعليق على هذه الرسائل المختصَرة لن نحاول الاستطراد والتوسع فيه؛ لأننا إن شاء الله بما أننا قد عَزَمْنا أن نتكلم فيما بعد في كتاب التوحيد، فإن الاستطراد و التوسع إن شاء الله يكون ثَمَّ بإذن الله، وإلا فَهُنا فإننا إن شاء الله نتكلم إن شاء الله بما يُزيلُ اللَّبْسَ ويُوضِحُ الفهم بحوله -عزّ وجلّ-.

شَرع المصنفُ -رحمه الله تعالى- في هذه الرسالة بالبسملة، قال:

[المتن]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ

[الشرح]

وسَبَقَ أن ذكرنا أنّ البسملةَ تُذكرُ في بداية كلِّ عمل من الأعمال المشروعةِ والمستحبةِ والمباحةِ، ويُراد بها التبرك باسم الله -عزّ وجلّ-، فمن قال: بسم الله، فهو يتبرك باسم الله -عزّ وجلّ-، ويستعين بالله -عزّ وجلّ- فيما سوف يقوم به من العمل. وذكرنا أنَّ اسم الله أو لفظ الجلالة (الله) هو ذو الألوهية، وقلنا: إنّ الرحمانَ هو ذو الرحمة الواسعة، والرحيمَ هو ذو الرحمة الواصلة.

وذكرنا أيضا أنّ الجارَّ والمجرور في قولنا: (**بِاسْمِ**) متعلّقٌ بمحذوف، قَدَّره بعضُ أهلِ العلمِ باسم محذوفٍ مُقدّرٍ، وقَدّرهُ بعضُهُم بفعل مَحذوف مُقَدَّرٍ، فعلى تقدير أنه اسمٌ محذوفٌ فنقول: بسم الله قراءتي، أو باسم الله دراستي، أو باسم الله كتابتي، فيكونُ اسما على تقدير أنه اسمٌ محذوفٌ، فنقول: باسم الله قراءتي؛ وإذا بدأت أنا مثلا في الشرح فأقول: بسم الله الرحمان الرحيم، وأريد بذلك بسم الله شرحي. ولا شك أنَّ حذْفَ هذا المُقَدَّرِ هو أولى، فإن الإنسان إذا أراد مثلا أن يكتب، وقال: بسم الله كتابتي، فإنه قد حَصَرَ التسميةَ على الكتابة فيقول، مثلا: باسم الله كتابتي، والإنسان إذا أراد أن يكتب فإنه يأخذُ القلم، ويفتح الكتاب، ويُحرِّك القلم على الكتاب أو على الكراس، وينظر، ويُفكر، ونحو ذلك، فلو أنه أَطْلق لكان أولى، فلا يقول: بسم الله كتابتي، لماذا؟ لأنه يفتح الكتاب، فكان أيضا يقول: بسم الله أفتح الكتاب، وبسم الله أكتب، وبسم الله أنظر، وبسم الله أُحَرّك، لكن لما أطلق فقال بسم الله، شَمَلت التسميةُ كلَّ ذلك، ولم تنحصِرْ فيما قد انقدح في ذهنه، فإنّ الإنسانَ لا يستحضر جميع تلك الأفعال حينما يذكر اسم الله –عزّ وجلّ–.

هذا على اختصار إن شاء الله ولعلنا إن شاء الله في متنٍ لاحقٍ، في كتاب التوحيد، نتوسع قليلا في التسمية، قد أعدنا قليلا مما ذكرناه سابقا.

قال:

[المتن]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ، أسألُ اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يتوَلَّاكَ في الدُّنْيا والآخرةِ، وأن يَجْعَلَكَ مُباركًا أينما كُنْتَ، وأنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إذا أُعْطيَ شكرَ وإذا ابتُليَ صبرَ وإذا أَذْنَبَ استغْفَرَ، فإنَّ هؤلاءِ الثلاثَ عُنوانُ السَّعَادَةِ.

[الشرح]

ابتدأ المصنف، كما هي عادته –عليه رحمة الله تعالى–، بالدعاء لمن يقرأ في كُتبه، وهي شِيمَةُ الشيخ –عليه رحمة الله تعالى–، كان رحيما بطلاب العلم، وكذا ينبغي لكل من قد ابْتُلِيَ بتدريس الناس وتعليمِهم، فإنه ينبغي أن يكونَ رحيما بمن يأخذ عنه فيعلِّمُه وهو مشفق عليه؛ يَصْدُق له في النصح، ويُسْدي له ما لو كان يُسديه لابنه أو أشد أقربائه، وخصوصا إذا علِم الإنسانُ أنه يتكلم عن الله –عزّ وجلّ–، فإنّ الإنسان إذا تكلم بالعلم، فإنه يُبَلِّغ علمَ الله –عزّ وجلّ– إلى خلق الله، فكان لا بدّ من الصِّدق والنصح لله –عزّ وجلّ– في حق هؤلاء الناس الذين يُبَلِّغُهُم العلمَ.

وهذا فيه رد على من ينتقصُ من هذا الشيخ الجليل، أعني شيخَ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ويَلْمِزه بالشِدة على الناس، وهذا يبين رحمة الشيخ –عليه رحمة الله تعالى– أسكنه فسيح جناته، فما نحن والله إلا حسنةٌ من حسنات الشيخ –عليه رحمة الله–؛ فالشيخ عليه –رحمة الله تعالى– كان من أرحم الناس، ولو لم يكن من رحمته للناس إلا أنه دعاهم إلى توحيد الله –عزّ وجلّ– لكان ذلك يكفيه، وهذا من فضل الله –تبارك وتعالى– على عباده ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء**﴾[1].

قال:

[المتن]

أسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

[1] [الجمعة: ٤]

[الشرح]

(**أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ**) وقد ابتدأ الشيخ هنا بلفظ الإفراد فقال: (**أَسْأَلُ**) و لم يقل نسأل، وإن كان يُشرعُ أن يقالَ مثلُ ذلك، فقال -رحمه الله تعالى-: (**أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ**)، فلفظ الإفراد في مثل هذا المَقَام يدل على خُصوصية النصيحة والدعاء: فإنني يا طالب العلم أسأل اللهَ الكريمَ لك، فيكونُ هذا المراد، فحينما يعلمُ الإنسانُ أنّ النصيحةَ قد صدَرَت منه خاصة لكَ فهذا يدل على الصدق فيها إن شاء الله.

قال: (**أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ**)، والكريمُ هو: من أسماء الله -تبارك وتعالى-، وهو من الأسماء الدالة على الإحسان، فهو الله -سبحانه وتعالى- الكريمُ، كما وصف نفسَه في كتابه فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾[٢]، وهو الذي أنزل الكتابَ الكريمَ، كما وصفه –تعالى- بقوله: ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ**﴾[٣]، ونزل بهذا القرآن ملكٌ كريمٌ، كما وصفه -تبارك وتعالى- بقوله: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾[٤]، وأنزله على نبي كريمٍ، كما وصفه -تبارك وتعالى- بقوله: ﴿ **وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ**﴾[٥].

والرب في قوله: (**رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**): هو ذو الربوبية ويُراد به: السيد، المالك، المتصرف، المطاع. ولا يُطلق على غير الله -تعالى- إلا مضافا، فتقول: رب الدار، ورب

---

2 [الانفطار:٦]

3 [الواقعة:٧٧]

4 [التكوير:١٩]

5 [الدخان:١٧]

البيت، ورب العمل، فلا يُطلق الرب على غير الله –تبارك وتعالى- إلا مضافا، ويَحْرُم أن يُطلق على غيره –سبحانه وتعالى- بغير الإضافة، فنقول، كما أسلفت: رب الدار، ورب العمل، ونحو ذلك، وإلا فالإطلاق لا يكون إلا لله –تبارك وتعالى-.

قال: (**رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**)، والعرشُ هو: سريرُ المُلْكِ لله –تبارك وتعالى-، وقد جاء وصفُ هذا العرش في آيات بأنه عظيم، وأنه كريم، ونحو ذلك. وذكر الشيخُ هنا من أوصافه العظيم. وقد اختلف أهلُ العلمِ في الآيات الواردةِ في ذكر العرش ووصف العرش، أو في مرجع هذا الوصف، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾[6]، فهل الكريمُ[7] هنا هو وصف لله –تعالى- أو هو وصف للعرش؟ وقد رجَّح فيما أَذكر الشيخُ ابن عثيمين –عليه رحمة الله تعالى- أنّ الوصفَ عائدٌ إلى العرش.

قلت ومما يدل على أنّ الوصفَ يعود على العرش ما جاء في دعاء الكرب، في الحديث الصحيح، يقول صلى الله عليه وسلم فيه: " **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم**"، طبعا جاء باختصارٍ وجاء أيضا بإضافةِ " **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبّ العَرْشِ الكَرِيم**"، ثم في آخره: " **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيم**"، فَتِكرار لفظِ العظيم أُطلق أولا على الله –سبحانه وتعالى- " **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ**". فالتكرار هنا الأَوْلى أن ينصرفَ إلى العرش؛ لأنه تكرّرَ اللفظُ فالأولى أن ينصرفَ إلى العرشِ، فيكون من أوصاف العرش أنه عظيم، وهو عظيم حقُّ عظيم.

[6] [المؤمنون:١١٥، ١١٦]

[7] أظن الشيخ يقصد وصف العظيم؛ لأن الاستدلال الذي ساقه يخص صفة العظيم.

قال:

[المتن]

أَنْ يَتَوَلاَّكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

[الشرح]

وهذا الدعاءُ دعاءٌ عظيمٌ، قد اشتمل على خيري الدنيا والآخرة، فإنّ الله -عزّ وجلّ- إنما يكون مولًى لأهل الإيمان، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ**﴾[8]، فالله -عزّ وجلّ- لا يتولّى أهلَ الباطل ولا يتولّى الباطلَ؛ إنما يتولّى الحقَّ وأهلَ الحقّ، كما قال –سبحانه-: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[9].

فدعاء الشيخ، هُنَا، بأن يتولاكَ الله يا عبدَ الله في الدنيا والآخرة هو من الخير العظيم، فإنّ الله -عزّ وجلّ- إذا تولاكَ فقد فُزتَ وأنجحت، فالله -عزّ وجلّ- إذا تولّى العبدَ نصره، وسدده، ويسَّرَ أمرَهُ، ورد كيدَ الكائدين عنه، ورفع شأنه، وأعلى ذِكْرَه، ووفَّقَه ولو كادَتْه السمواتُ والأرضُ ومن فيهنَّ، فإنّ الله –عزّ وجلّ- يجعلُ له من بينهنّ مخرجا، وقد قال الله –عزّ وجلّ-: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ** ﴾، فأخبر بعد ذلك عن تلك الوَلاية فقال –سبحانه-: ﴿ **يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾؛ فإذا تولاّك الله أخرجك من ظُلُمات الشرك، وظلمات البدع، وظلمات الجهل، وظلمات المعاصي إلى نور التوحيد، ونور الطاعة، ونور السنة، ونور الإتباع، ونور محبة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[8] [محمد: ١١]

[9] [البقرة: ٢٥٧]

ولذلك كان هذا الخيرُ قد أثمر في دعوة الشيخ -عليه رحمة الله تعالى-، فقد جعل الله -سبحانه وتعالى- له من الذكرِ الحسَنِ عند مَنْ عَلِمَ مكانةَ هذا الشيخ، وكان يقول -رحمه الله تعالى- للناس:" والله لو تعلمون حقيقة ما أدعوكم إليه لكنت أحبَّ إليكم من أبنائكم وأزواجكم وأولادكم وأموالكم" -عليه رحمةُ الله تعالى-.

قال:

[المتن]

وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ.

[الشرح]

والبركةُ في اللغة هي: الثبوتُ ولزومُ المَحَلِّ، والمراد بها هنا: أن يجعلك الله مباركا بأن يُنزل عليك بركة من عنده -سبحانه وتعالى-، فإنّ البركة لا تكون إلا من الله –سبحانه-، فيجعلُ الله لك من البركة؛ فتكون البركة في قولك وفي فعلك، فتُوفَّقُ إلى الحق، وتُسدَّدُ إليه، أينما كنت وحيثُما حَلَلْت، وهذا الدعاء قد أخبرَ الله -سبحانه وتعالى- أنَّه مِمّا جعله لعيسى نبيِّ الله عليه الصَّلاة والسَّلام حين قال: ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ**﴾[10]، وقد فسَّرها بعضُ السلف لقوله ﴿**مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ**﴾، قال: فسَّرها بعض السّلف بقوله مُعلِّما للنَّاس الخير. وهكذا ينبغي أن يكون كلُّ طالب علم حيثُ ما حلَّ نفع، وحيثُ ما كان نفع، فإنّ الله يردُّ بأهل العلم وطلَّاب العلم يردُّ بهم عن دينه -سبحانه وتعالى-، وينشر بهم سُنَّة نبيِّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

[10] [مريم: ٣١]

قال:

[المتن]

وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أذَنبَ اسْتَغْفَرَ. فَإِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاث عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

[الشرح]

ثلاثةُ أمور ذكرها الشيخ –عليه رحمة الله تعالى–:

١. أن يجعلك الله ممَّن إذا أُعطي شكر.

٢. وإذا ابْتُلي صبر.

٣. وإذا أذنب استغفر.

النِّعمُ من الله –عزَّ وجلَّ– على قسمين:

١. نِعَمٌ للأبدان أو على الأبدان.

٢. و نِعَمٌ على القلوب.

فنِعمُ الله على الأبدان هي كالقوت، ما يأكله الإنسان ويشربه، وأيضا من نِعم الله تعالى على الأبدان منها أيضا: السَّمع، والبصر، ونحو ذلك من النِّعم الكثيرة التي قال الله –عزَّ وجلَّ– فيها: ﴿ **وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾[١١].

[11] [النحل: ١٨]

وأمَّا النِّعمُ التي تكون للقلوب فهي: ما يجعله الله –سبحانه وتعالى– في قلب العبد من الإيمان، والإخلاص، والتَّوكُّل، والرَّجاء، والخوف، والرَّهبة، والإنابة، والخشوع، والخضوع لربّ السَّماوات –تبارك وتعالى–. فإذا أُعطيَ الإنسان هذه النِّعم التي تكون على الأبدان وعلى القلوب، فكان يجب عليه أن يشكُرَ الله –عزَّ وجلَّ–، ويكون شُكرُهُ لله أيضا بالأبدان والقلوب، فيكون الشُّكر بالبَدَن، ويكون الشُّكر بالقلب، وقد دلَّ على ذلك قول الله –عزَّ وجلَّ– في كتابه: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾[١٢]. فلا بدَّ للعبد أن يَشْكُرَ الله –عزَّ وجلَّ– بالبَدَنِ، وأن يشْكُرَه بالقلب، فشكرك بالبدن هي العبادة لله –عزَّ وجلَّ–، ما تقوم به من العبادات، كالصَّلاة، والصَّوم، والزَّكاة، ونحو ذلك، وذِكْر الله –عزَّ وجلَّ–، وأمَّا القلوب هي بالإيمان، والتَّصديق، والانقياد، والخضوع، والخشوع، والتَّعظيم لله –عزَّ وجلَّ–، ونَحْوِ ذلك من العبادات الّتي تتعلّق بالقلوب.

وذَكَرَ بعد ذلك البلاءَ وقال: (**وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ**)، وكذلك البلاءُ يكون على الأبدان، يقع البلاء على العبد في بدنه، ويقع البلاء على العبد في قلبه. فمِمَّا يقع على العبد في بدنه: الأمراض ونحو ذلك، وممَّا يقع على القلب: الابتلاء في الدِّين؛ فيكون البلاء في الدِّين، ويكون البلاء في البدن، ولا شكَّ أنَّ البلاء في الدِّين هو أعظمُ أجرا، وهو الّذي يحتاج إلى صبرٍ أعظم.

قال: (**وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ**)، ثمَّ ذكر بعد ذلك: (**وَإِذَا أذْنبَ اسْتَغْفَرَ**)، فإنَّ الذّنبَ إذا وقع من العبد كان لا بدَّ عليه أن يستغفر الله –تبارك وتعالى– لِمَا حَصَلَ له من الذُّنوب، فإنَّ العبد يكون بين الطَّاعة والمعصية، وهذا حال أهل الإيمان. وأمَّا أهلُ الضلال وأهلُ الخِزْي فإنَّهم، كما أخبر النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، المنافق قلبه لا تحرِّكه الرِّيحُ بينما المؤمن قلبه

[12] [سبأ: ١٣]

كالرِّيشة في مهبِّ الرِّيح يوم هكذا و يوم هكذا، هذا حال أهل الإيمان: الإنسان يدور بين الطَّاعة والمعصية كما أخبر النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بقوله: " **لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ الله بِكُمْ وَأَتَى بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ**"

قال –رحمه الله تعالى-: (**فَإِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ**)، وصدق –رحمه الله تعالى- في ما أخبر، فإنَّ هؤلاء الثّلاثَ مدارُ الحياة عليها، مدار الحياة على هذه الثّلاث، فإنَّ العبد، كما أخبرت، إذا أذنب كان ذلك سببا لِأَن يستغفر، فيكون ذلك سببا لقربه من ربِّه –تبارك وتعالى-، وإذا أطاع الله –عزَّ وجلَّ- كما قال المصنِّف: (**وَإِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ**) فيكون ذلك سببا لأن يتقرَّب من الله –تبارك وتعالى-، وقال: (**وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ**) فيكون ذلك أيضا سببا لقربه من الله –تبارك وتعالى-. وإذا حاز الإنسانُ خيرَ الآخرة حصل له خيرُ الدُّنيا، وإذا حاز خيرَ الآخرة فقد حاز خيرَ الدنيا، فإنَّ الله يعينه على دنياه، ويسدِّده فيها، ويوفِّقه فيها، ويعينه عليها، كما أخبر النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم في الحديث الصَّحيح، حيث قال صلَّى الله عليه وسلَّم : " **مَن كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَمَعَ اللّهُ عَلَيهِ شَمْلَهُ وَ جَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ** ".

ثُمَّ ابتدأ المصنِّف –رحمه الله تعالى- في المقدِّمة الثّانية، هذه كانت المقدِّمة الأولى، هي بهذا الدُّعاء؛ دائما في مثل هذه المتون، طالب العلم ينبغي عليه أن يقوم بنظرة شاملة للكتاب الّذي سوف يقرأ فيه، ثمَّ يُقسِّم هذا الكتاب إلى أقسام تجعله يستوعب الكتاب.

الآن هنا مثلا معنا، ابتدأ المصنِّف –رحمه الله تعالى- المقدِّمة الأولى قال: (**أسْأَلُ اللهَ الْكَرِيم)**، التي فيها هذا الدُّعاء، ثمَّ المقدِّمة الثَّانية: (**اعلَم أَرشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِه)**، هذه المقدِّمة الثّانية، ثُمَّ

نَنْظر بعد ذلك فإذا بالمصنِّف –رحمه الله تعالى– ابتدأ بعد ذلك في القواعد الأربع، بعد الانتهاء من هذه المقدِّمة الثَّانية ابتدأ بذكر القواعدِ الأربع.

فالآن صار عندنا الكتاب مُقسَّم إلى سِتَّة أقسام:

١. القسم الأوَّل هو الّذي فيه هذا الدُّعاء الّذي مرَّ معنا.

٢. القسم الثَّاني هو الّذي فيه التَّعريف بالتَّوحيد وأهمِّية التَّوحيد في الحياة. ثمَّ بعد ذلك ذكر القواعد الأربع.

٣. القاعدة الأولى هذا القسم الثَّالث.

٤. القاعدة الثَّانية تكون القسم الرَّابع.

٥. القاعدة الثَّالثة تكون القسم الخامس.

٦. والقاعدة الرّابعة تكون القسم السّادس.

بهذه الصُّورة، إذا تصوَّر طالب العلم هذه الكتب بهذه الطَّريقة يسهُلُ عليه فهمُ الكتاب، ويسهل عليه حفظُ الكتاب، وإن شاء الله أيضا إذا جاء عندنا كتابُ التَّوحيد، أيضا إن شاء الله نُريكم كيف نقسِّم هذا الكتاب، كيف جعل المصنِّف –رحمه الله تعالى– المدخل، ثمَّ التَّوحيد، والتَّعريف بالتَّوحيد إلى آخره، ثمَّ ختم بشِرْك الألفاظ ونحو ذلك، فيكون هذا الكتاب إذا تصوَّره طالبُ العلم بهذه الصُّورة، يكون بإذن الله مُعين على الفهم، ومعين على حفظ المتن بحول الله –عزَّ وجلَّ– .

يقول –رحمه الله تعالى–:

[المتن]

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ.

[الشرح]

وقلنا إنّ الرَّشاد، إذا تذكرون في متن ثلاثة الأصول، قلنا إنَّ الرَّشاد معناه هو طبعا: ضدُّ الغواية والمراد به التَّسديد للحقِّ والصَّواب، والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**﴾[13] كما امتدح نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم.

(**اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ**)، والطّاعة هي: امتثال الأوامر واجتناب النَّواهي.

[المتن]

أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

[الشرح]

والحنيف هو: المائل عن الشَّيء، تقول فلان حنيف أي مائل عن كذا، مائل عن شيء معيَّن، فالحنيفيَّة في الكتاب والسُّنَّة وفي الشَّرع يُراد بها الميل عن الشِّرك، فإبراهيم عليه الصَّلاة والسّلام كان حنيفا، أي كان مائلا عن الشِّرك.

طيِّب، قال: (**أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ**)، والملّةُ هنا المراد بها: الدِّين، كما قال يوسف عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿ **وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيم...** ﴾[14] الآيات.

[13] [النجم:٢]

[14] [يوسف: ٣٨]

قال: (**أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ**)، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام هو أحد الأنبياء أولو العزم، وهو خليل الله اصطفاه الله –سبحانه وتعالى– للخلة، والخلة هي أعظم من مجرد المحبة، والله –سبحانه وتعالى– لم يصطفي من خلقه خليلا إلا محمدا صلى الله عليه وسلم وإبراهيم عليه الصلاة والسلام. فإبراهيم هو إبراهيم الخليل عليه صلوات الله تعالى، وهو إمام الحنيفية.

وقد ذكرنا في متن ثلاثة الأصول أن ذكر إبراهيم بالخصوص هو لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما كان قد بعثه الله –سبحانه وتعالى– بالحنيفية، وكان ذلك في الشام، وجاء إلى مكة لما ترك ابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهاجر عليها السلام، فبعد ذلك العرب، والروم، وغيرهم، واليهود، كانوا ينتسبون إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ ولذلك رد الله –تبارك وتعالى– عليهم فقال: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا** ﴾[15] وقال –سبحانه وتعالى–: ﴿ **أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ** ﴾ [16] فإبراهيم عليه الصلاة والسلام كان ينتسب إليه اليهود، وكان ينتسب إليه النصارى، بل كان ينتسب إليه أيضا حتى المشركون فيقولون: نحن على ملة إبراهيم، ولذلك كانوا عندما يطوفون بالبيت كانوا يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، كما في صحيح مسلم، فكانوا ينتسبون إلى إبراهيم، فبيَّن الله –عز وجل– أن دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو التوحيد الخالص لله، ولذلك لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة في فتح مكة فوجد صورة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو يستقسم بالأزلام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **وَاللهِ قَدْ عَلِمُوا إِنِ اسْتَقْسَمَ بِالأَزْلَامِ قَطْ** "، أي إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان إمام الموحدين فكيف يستقسم بالأزلام؟!

---

[15] [آل عمران: ٦٧]

[16] [البقرة: ١٤٠]

والأزلام هي: نوع من القِداح كانوا يعني يجعلونها في ذلك الوقت من أنواع التي يجعلونها لفأل ونحو ذلك من الأمور إذا أرادوا أن يفعلوا شيئا.

قال:

[المتن]

أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

[الشرح]

فقال: (**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ**) وهذه هي الحنيفية هي: عبادة الله –سبحانه وتعالى– وحده وإخلاص الدين له –سبحانه وتعالى–.

(**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**)، والإخلاص يتضمن معنى إفراد الله –عز وجل– بالعبادة، فيكون قوله: (**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**) هذا التكرار كله يكون لتأكيد هذا المعنى للحنيفية، لأن إبراهيم كما قلنا كان حنيفا أي ما كان من المشركين، أيضا لم يكن من المشركين، فهو تأكيد بعد تأكيد بعد تأكيد بعد تأكيد أن الحنيفية هذا الميل عن الشرك، ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين –سبحانه وتعالى–، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[17]، وقد جاء عن ابن عباس –رضي الله عنهما– فيما معناه: كل عبادة في القرآن فهي توحيد، فقوله –سبحانه وتعالى–: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ أي: إلا ليوحدون، وما هنا نافية: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾، ومن المتقرر في قواعد أهل العلم أن الاستثناء، يعني قولنا: إلا، أن الاستثناء إذا جاء بعد النفي أو النهي فيفيد الحصر والقصر، فقوله: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾

17 [الذاريات:٥٧]

فليس هناك سبب أو غاية لخلق الخلق إلا عبادة الله -عز وجل- وحده، كما نقول: لا إله إلا الله، فإلا هي هنا الاستثناء أو أداة الاستثناء جاءت بعد النفي " لا إله إلا الله" فتفيد الحصر والقصر، فيكون حكم الألوهية الحقة لله -عز وجل- محصورا، فيكون حكم الألوهية محصورا لله -تبارك وتعالى-.

للتذكير نقول: إبراهيم عليه الصلاة والسلام يلقب بأبي الأنبياء، هو أبو الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وسماه الله -عز وجل- أُمة: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً** ﴾[١٨] لأنه قام مقام أمة والمراد به كان إماما، وسمي إماما لأنه قام مقام أمة، وكان في وقته وحده هو الذي يدعو إلى التوحيد، والدليل على أنه أبو الأنبياء كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ **وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ** ﴾[١٩].

طيب، قال بعد ذلك:

[المتن]

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ - يعني في قوله -عز وجل-: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾-، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إلا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إلا مَعَ الطَّهَارَةِ.

[الشرح]

---

[18] [النحل: ١٢٠]

[19] [العنكبوت: ٢٧]

فكل عبادة لا يصح أن تسمى عبادة إلا مع التوحيد، والمراد هنا بتسميتها عبادة أي عبادة صحيحة مقبولة، فإن العبادة لا تكون صحيحة إلا بشرطين:

- الشرط الأول هو: الإخلاص.
- والشرط الثاني هو: المتابعة.

فالإخلاص كما قال الله –عز وجل-: ﴿ **وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا**﴾[20] ونحو ذلك من الآيات التي دلت على وجوب إخلاص الله –عز وجل- للعبادة.

والمتابعة وهي متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** ".

فالشيخ هنا يقول: (**الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ**)، أي العبادة الصحيحة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، مثلا لتوضيح المسألة أكثر فنقول: إنسان دعا الله –عز وجل- فنقول هذه عبادة، الدعاء عبادة، إنسان دعا غير الله –عز وجل- هذه عبادة لكن الأولى عبادة لله –عز وجل-، والثانية عبادة لغير الله –عز وجل-، هذه عبادة لله والثانية عبادة لغير الله، فهي تسمى عبادة يعني لغة وشرعا، لكن المراد الشيخ هنا بالعبادة أي عبادة؟ العبادة التي يعني تكون صحيحة خالصة مقبولة عند الله –عز وجل-.

قال: (**كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ**)، ومعلوم حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " **لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**" الحديث في الصحيحين،

---

20 [التوبة: ٣١]

حديث أبي هريرة " **لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**"، فالصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، لا تكون صلاة صحيحة مقبولة إلا مع الطهارة.

[المتن]

فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

[الشرح]

فكل عبادة يدخل فيها الشرك فإنها تفسد، كالحدث إذا دخل في الطهارة، طبعا هنالك تفصيل في مسألة دخول الشرك في العبادة، سواء كان شركا أكبر أو أصغر فإنه يفسد العبادة، لكن متى تفسد؟ هذا يحتاج إلى تفصيل ليس هذا موضعه.

(**كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ**)، فإنه كذلك يفسده كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " **لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**".

قال:

[المتن]

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةِ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ.

[الشرح]

لأن الشرك يحبط العمل، ومصداقه قول الله –عز وجل– في كتابه الكريم: ﴿ **وَلَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾[٢١] فالشرك إذا دخل في العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه

[21] [الزمر: ٦٥]

من الخالدين في النار، يعني الشرك الأكبر إذا خالط العبادة صار صاحبه من الخالدين في النار ما لم يتب قبل خروج الروح.

قال:

[المتن]

عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ.

[الشرح]

فإن أهم ما على الإنسان أن يعرفه، يعني ذكر لك أولا المصنف أن الله خلقك لأجل هذه الغاية، وهي عبادة الله –عز وجل– وحده لا شريك له، إذا خلقك لهذه الغاية فكان يجب عليك أن تعرف ما هي هذه الغاية؟ وكيف تتحقق هذه الغاية؟

فهذه الغاية لا تتحقق إلا بشرطين: بالإخلاص والمتابعة، فإذا علمت هذين الشرطين وفهمت هذين الشرطين خفت أن يكون في شيء من الغاية التي خلقك الله لها أن يكون فيها شيء مما يفسدها أو يفسد ما خلقك الله –عز وجل– له فتكون من الخالدين في النار.

قال:

[المتن]

لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ باللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[٢٢]. وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

---

[22] [النساء: ١١٦]

[الشرح]

هذا الآن انتهت هنا المقدمة الثانية، الآن انتهت هنا المقدمة الثانية، ولعلنا إن شاء الله نأخذ بعض الأسئلة ..